

عالم البراءة
قصص قصيرة
علي عبد الفتاح

عالم البراءة

قصص قصيرة

علي عبد الفتاح

اسم الكتاب	دموع الياسمين
موضوعه	قصص قصيرة
المؤلف	على عبد الفتاح
	موبايل : ٦٦٩٠٤٦١٢ الكويت
	موبايل : ٠١٢٧٦١١٩٠١ القاهرة
الطبعة وتاريخها	الاولى ٢٠١٠
الناشر	مكتبة ابن كثير – الكويت
	موبايل : ٩٩٦٨٩١٢٣ الكويت
مدقق لغوي	الأستاذ ابراهيم محمود مصيلحي
	موبايل : ٩٩٥٨١٩٢٣ الكويت
	٠٠٢٠٤٨-٢٢٧٦٢٠٨ مصر

رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٦١٤٨

الترقيم الدولي: 977-5130-94-8

إهداء

إلى

دموع الياسمين

حين تنساب من عينيها

عالم البراءة

فى الصباح

شاهدته كل يوم .. في وقت السحر يقرأ القرآن .. وعيناه امتلأت بالدموع .. وتعجبت!

هل كتاب الله يحول الإنسان إلى قلب خاشع باكٍ بهذه الصورة؟

واعتقدت أنه يحاول رسم صورة لرجل ورع أكثر مما يجب .. وذات يوم سألته :

– هل للقرآن هذا التأثير على الروح والأحاسيس؟

ونظر لي ومسح على جبيني وقال :

– حين تكبر ستدرك.. وتتعلم .. وتتأثر .. ولسوف تبكي.

وركضت بعيداً .. أنا طفل السادسة من عمري .. لا أفهم شيئاً .. وحين مرت السنوات .. وكبرت

وتعلمت وقرأت .. فهمـــت .. وفتحـــت صـــفحات القرآن..ومع بعض الآيات والسور.. دمعت عيناي. وتذكرت أبي الراحل عني الذي علمني كيف أقـــرأ القرآن بروحي .. وقلبي وليس مجرد عيني.

وذات يوم اقترب ابني الصغير وقال :

- أتبكي يا أبي وأنت تقرأ القرآن؟

نظرت إليه وقلت له :

– اقرأ الفاتحه على روح جدك رحمه الله .. غـــداً ستتعلم .. وتفكر .. وتدرك .. وتتأثر.. ثم تبكي.

ومضى ولدي بعيداً ..

وأجهشت بالبكاء.

* * *

الحقيبة

كَانَتْ حَقِيبَتي المدرسية سر تعاستي وشقائي حين أصبْحتْ مثارُ سخرية المعلمين والتلاميذ. فقد سألتُ أبي أن يشتري لي حقيبةً من الجلد أضعُ فيها كُتبي وأدواتي.

ولمّا كانت الحقائب غالية .. فقد قرر أبي أن يصنع لي واحدة بنفسه ... ودُهِشت .. هل يمكن ذلك؟ وتخيلتُ حقائب التلاميذ الصغار في مدرستي كيف تبدو أنيقةً وناعمةً وملونةً .. وعليها رسومات كلُهُا صُنعت من الجلد الفاخر. ولكني فوجئتُ أن حقيبتي من الخشب.

وحين شاهدها التلاميذ معي تعجبوا وسألوني:

- ماهذا الصندوق؟ ماذا تضع فيه؟

وأدركتُ أني لن أنجوَ من السخريةِ أبداً ... ولاسيّما أن أحد المعلمين في الفصل تعثر في حقيبتي وصاح في وجهي غاضباً:

– من الذي وضع هذا الصندوق هنا ؟؟

وضحك الأطفال وغرقتُ في انكساري وخجلي وعذابي. وأصبح الصندوق مشكلتي. فقمت بإخفائه خلف باب الفصل واحتفظت بالكتب معي.

وبينما كُنا في الدرس جاء عُمّال النظافة وحملوا الصندوق مع القمامةِ .. وارْتَجفتُ .. ودعوت الله أن لا يُلاحظ المعلم أو التلاميذ ذلك.

وفي نهاية اليوم المدرسي ذهبتُ خِلسةً أبحثُ عن الصندوقَ في سِلال القمامة .. ودموعي تتدفق في الخفاءِ.

***

ظل الشجرة

دائماً أُشاهده يغفو تحت ظل الشجرة في شارعنا.. بجواره لفافة احتوت على بعضٍ من طعامه . وكنا ننتظر أن ينهض من نومه لنلعب كرة القدم.

دائماً تبدو هذه الصورة مجسدة أمامنا جميعاً وذات يوم سألته:

– لماذا لا تنام في بيتك .. وترتاح ؟

ابتسم وقال في رضا:

- هذه نعمة كبيرة يا ولدي.. ظل الشجرة نعمة من الخالق .. الظل هو بيتي .. الحمد لله.

وابتعدتُ عنه وهو مازال يردد : الحمد لله ...

* * *

عصير الليمون

كنتُ أرقُبها .. تقف في شُرفتها .. وأمامها بضع ليمونات .. وكوب ماء وسكر .. وتعجبت لحماسها الشديد .. في ترتيب حبات الليمون .. وتجفيفها ثم تقطيعها بالسكين نصفين.

وتنظر لي باسمة وتقول:

– أُعد له كوب عصير الليمون الذي يحبه. إنه نائم الآن.

ثم تبدأ في عصر الليمون بأناملها وتضع السكر في الكوب وتقلب العصير فرحة.

وسمعتُ بعضاً من الجيران يقولون عنها:

– مات زوجها في الحرب .. ومازالت تُعد له عصير الليمون .

وأصابني العجب .. هل زوجها معها .. أم مات في الحرب ؟ وأنا أراها كل يوم .. في ذات الوقت تُعد حبات الليمون .. وكوب الماء .. وقطع السكر.

وتجرأت وسألتها :

- من سيشرب العصير ؟؟

ابتسمت في عيون ذابلة .. من الحزن .. وقالت:

- سينهض من نومه يصلي العصر .. ويشرب عصير الليمون.

وحين تملكني الصمت .. والذهول !! عادت تقول:

- لم يمت في الحرب ... قالوا لي سيعود .. ولابد أن أجهز له عصير الليمون.

* * *

اللص الصغير

تسللتُ إلى خزانة أُمي .. فـــي هــدوء .. دون أن تعلم وسرقت بعضاً من النقود المعدنية .. وفـــي كل يوم كنت أذهب وأدس أصابعي .. وأُنتقي بضـع نقود قليلة تكفي حاجتي.

وسمعتُ أُمي ذات يوم تقول في دهشة:

- من أخذ النقود من خزانتي ؟؟

وأصابني الهلع .. لقد بَدأت تكتشــف الســرقة.. وذهبت إليها .. وقلتُ لها خائفاً :

- أنا يا أُمي كل يوم .. أسرق من نقودك .

وتوقعت كارثة .. ولكن أُمي ضحكت .. وقبلتنـــي وقالت:

- غير معقول !! أنا أعرفك .. أنت صادق .. وأمين .. لا تفعل ذلك ..

وفي الليل أثناء نومي .. سمعت أخي يقسم بالله أنه بريء .. وأمي تصرخ فيه :

- وتكذب أيضاً يا لص ..؟

وحاولت أن أبوح .. مرة أخرى بالحقيقة .. ولكنني شاهدت أشباحاً مرعبة .. تضربني في كل أنحاء جسدي .. وأنا أصرخ من الخوف .. والفزع.

وأفقتُ على صوت أُمي .. تحتضنني وتقول:

- لقد أيقظنا أخاك الصغير.. ألف سلامة لك .. فأنت أفضل عندي من أخيك اللص.

وتمنيت أن تبتلعني الأشباح .. وأغيب تحت الأرض إلى الأبد .. والدموع تنساب من عيني.

***

عـودة

كان يجلس حزيناً .. طاوياً ذراعيه .. محملقاً في عيون الأرض وسألته:

– لماذا تنظر إلى أسفل يا أبي؟

قال في شجن:

– إني أحس بالرجوع إليها .. إنها تناديني أن أعود إليها .

سألتهُ بتعجب:

– من تلك ؟

ارتجفت أهدابه .. وترقرقت عيناه بالدموع وقال :

– الأرض

***

حلـــم

قال أبي في شوق :

- شاهدتُك في الثوب الإبيض .. تطوف وتســـعى مع الجموع ..

باركت لك فقد علوت .. وســـموت .. وشـــاهدت النور.. ولمست الأفق .. فليغفر لنا المولى الكريم.

وحلمت في الليلة التالية بأني هناك بين الجموع

أطوف في العلياء .. ويغمرني النور .. ويغشاني

وأني أردد :

- صَدُقت النبوءة يارب .

***

صدق

كنتُ جباناً .. أخاف منه ..

من شدته وطغيانه وقسوته ...

وألوذ بالكذب حين يسألني وأنا مرتعب :

- هل صليت ؟

وأقول في خوفٍ .. وأنا أكذب :

- نعم صليت يا أبي !!

وأركض إلى غرفتي مذعوراً .. وأنا أردد :

- الحمد لله أني كذبت ..

- فقد كنت أكذب .. من شدة الصدق

***

أنا والفقير

في شهررمضان المبارك .. أعطـــاني أبـــي بعـــض الصحائف .. والأواني المليئة بالطعام وقال:

أمام البيت بالشارع .. يجلس رجل فقير .. ضع أمامـــه صحائف الطعام .. وانتظر حتى يأكل وارجع بها.

وكرهت أبي .. وكرهت الفقير.. كيف أنتظر ما بعـــد ساعة الإفطار وأنا صائم ؟

ولكنني ظللت في الشارع أنتظر أن يفرغ المسكين من طعامه .. وعدت بعد جهد والجوع يـــؤلمني .. وأنـــا ساخط على كل ماحولي.

واليوم بعد سنوات وسنوات...كلما رأيت فقيراً في الشارع .. أسرعت واشتريت له بعض الطعام وأنا أردد:

- رحمك الله يا أبي .

***

مشهد

ظل يكيل الضربات بكفه لأخي الكبير ويقول :

– "قل هو الله أحد .."

ويعود أخي الذي مازال في السادسة من عمره يردد :

– قل هو الله الله الله .

وأبي يوجه له الضربات الشديدة ويقول :

–احفظ .. احفظ .. احفظ ...

وهربت وحدي وظللت أعيد الكلمات:

– "قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد."

وكرهت العنف في حفظ القــرآن .. وكرهــت أن أصلي .. وكرهت عنف أبي .. وودت أن أعيش حراً دون رهبة أو خوف.

واليوم بعد سنوات طويلة زارتنـــي حفيـدتي ذات الثلاثة أعوام فقالت لي:

- ممكن أن تُسَمِعِ لي يا جدو ما درسته بالمدرسة

وقالت بصوتها الملائكي :

- قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ..

لا أدري ..

لماذا أحببت القرآن من على شفتيها ..

ورددت معها الآية الكريمة ..

ومسحت على شعرها وقبلتها ..

وانسكبت دمعتان من عيني.

****

لحظة موت

سمعته .. وأمي تهمس له :

- هل تُصدق .. ولدك يحب بنت الجيران .

وارتعبتُ تحت الفراش ..

وشعرتُ أن الغرفة ستنهار فوق رأسي ..

ولسوف أنال ضرباً قاسياً وتهيأت للدمار.

فإذا بأبي هذا الرهيب يقول ضاحكاً :

- مادام يحب لا تخافي .. فالحب سر القلب وسحر الحياة .

وأسرعتُ أكتب إلى فتاتي أني أُحبُها ..

ولا أخاف شيئاً .. فأنا أملك الآن تصريحاً بالحب دون خوفٍ من بطش أبي .

وحينما غضبت مني فتاتي .. لأنني جرحتها بكلمات قاسية ..

التقت بأبي وبكت بين يديه.

وكانت ليلة لم أنم فيها ..

حيث آلام الضربات على جسدي توجعني وأبـــي يقول لي :

– تعلم أن تحترم الفتاة .. تعلم احترام الناس.

ولذلك كل فتاة التقيت بها ..

كنت أخشى أن أجرح إحساسها ..

وتعلمتُ أن أعشق ..

وأحب في رقة وعذوبة.

***

الكارثـــة

كنت أقرأ ..

واكتشف أبي ذلك ..

وكانت كارثة كبرى .. سمعته يقول لأمي :

– ابنك فاسد .. يقرأ قصص وأشعار الحب.

وفي ليلة لم يشرق لها قمر..

هجم أبي على مكتبتي الصغيرة ..

وحرق الكتب .. ومزقها أمام عيني وظللتُ أبكـــي

.. وقلبي يحترق .. مع كل صفحة كتاب.

فقد كنت أجوع لأشتري قصة ..

وأدخر مصروفي لأشتري ديوان شعر..

وفقدت مكتبتي الصغيرة وفقدت ذاتي .. ولكننـــي

قررت أن أقرأ دون أن تراني عين في البيت.

فكنت أختبيء تحت السرير .. وأقرأ ما لــذ لــي
وطاب من قصص الغــرام والحــب .. والهجــر
وقصائد العشاق.

وتحت السرير..
عرفتُ شعراء وأدباء العالم.
وكانت مملكة الحرية والسفر الطويل.
ومازلت حتى اليوم
أتشوق للقراءة تحت السرير ..
ولكن كيف؟

***

الــداء

قال لها وأنا تحت الفراش أسمع كلماته:

- لا أملك نفقات العلاج .. إنه يعاني بداء الصدر.

وبكت أُمي وقالت :

- نذهب به إلى المستشفى الحكومي فـــالعلاج بهـــا بالمجان.

وكنتُ مصاباً بسعالٍ شـــديد .. وهـــزل جســـدي وبرزت عظامي ولم استطع النوم.

وفي اليوم التالي جاء أبي وسأل أُمي:

- هل مازال مريضاً ؟

وسمعت أبي يبكي ويقول:

- أتمنى أن يموت وأرتاح من عذابي معه.

وتعجبت لماذا يتمنى أبي لي الموت ؟

وظللت أبكي وحيداً تحت الفراش.

***

عـذاب

وقفنا في الطابور الطويل ..

نحن أولاد الثامنـــة .. المصـــابين بـــداء مـــرض "البلهارسيا" .. وكنت أقف في أخر الصف .. أريد أن أهرب من تلك المأساة المرعبة.

وأسمع صراخ الولد بين يدي الطبيب .. في مقدمة الطابور.. والسن المدبب للإبرة .. ينغــرس فـــي شريانه .. والولد يصرخ من الألم .

وأنا محطم في مكاني .. أرتعش من الخـــوف .. تائهاً لا أدري ماذا أفعل .

وبنفس السن المدبب للإبرة .. يمر كل ولد ينـــال جرعة من العلاج في شريان ذراعـــه .. بـــنفس الإبرة لا تتغير .

وحين جاء دوري .. كنت قد هلكـــت .. وفقــدت يقيني في الأمل أن تحدث معجزة ما .

وصرخت .. وبكيت ..

وسقطت على الأرض في إغماءة ..

ولم يكن حولي سوى وجوه الأطفـــال البائســـة يمسكون يدي

وهمسات الأمهات اللواتي إصطحبن أولادهـــن للعلاج بالمجان ..

ويحاولن أن يكفكفن دموعي...

وانا أبحث عن من الوذ .. واحتمى به ..

وأختبيء في صدره

فلا أجد سوى ..

دموع عيون الأطفال البؤساء.

***

صديقي المخلص

بكيتُ .. وبكيتُ بين يديه ...

وجذبني من يدي..

وأطاح بي خارج شقته.. ثم صرخ في ابنه:

- اقذف بالكتب في وجهه .. ولا أود أن أراه هنا مرة أخرى.

وانحنيت أجمع صفحات الدفتر الذي كنت أسجل فيه واجبي المدرسي .. ومشيتُ في الطريق باكياً.

وفي البيت سألتني أُمي :

- لماذا عدت من بيت صديقك مبكراً ؟

حاولت أن أبتسم وقلت :

- أعطاني كل الدروس .. وساعدني في الواجبات كلها.

وأخذت أُمي تدعو لصديقي .. وتـــدعو لأســـرته وتقول لجارتها بفخر :

– صديق ابني يشرح له ما درسه فـــي الـــدرس الخصوصي .. وكل الأسرة تحب ابنـي وتساعده .

ودخلتُ الغرفة ..

جلستُ على الأرض

أبحث عن طريقة تعيد صفحات الدفتر ..

كما كانت ..

ودموعي تتساقط بين السطور.

***

يوم إعدامي

قلتُ في شجاعة للمعلم:

-أنا لم أحاول الغش .. ولم.......

وقبل أن تقفز كلماتي على شفتي .. هـوى بكفـه على وجهي صارخاً:

- أيُها الولد الفاسد .. الكاذب .. أنت كنت تغـش من ورقة زميلك.

ونهضتُ من فوق الأرض أمسـح الغبـار عـن ملابسي وكنتُ حقا بريئاً مـن تهمـة الغـش .. وأصررتُ على قول الصدق مقتنعاً أن هذا المعلم الجبار في ضرباته سوف يعجب بشجاعتي لأنـي أقول الصدق.

وسقطتُ طريحاً على الأرض .. أنا طفل الثامنـة

من عمري لا أدري ماذا أفعل في مواجهـــة هـــذا الوحش الكاسر.

ويتلقاني المعلم بكلتا يديه .. ويضرب بجسدي النحيل عرض الحائط .. وأسقط مرة أخرى .. ثم أنهض .. ليعاود توجيه اللطمات إلى وجهي وجسدي دون رحمة .. ويسألني صارخاً :

- قل الحقيقة أيها الكاذب وإلا....

ومن هول الضربات .. والألم يسري في جسدي اضطررتُ إلى الكذب ... وقلتُ وأنا منهار في بحر دموعي :

-أجل .. كنتُ أغش!!!

وسكت المعلم .. واستراح .. ثم ابتسم كأنه حقق انتصاراً كبيراً وقال للتلاميذ الصغار وهم يرتعشون من الرعب والخوف:

– هذا هو عقاب كل من يغش من زميله .. وهذا الكاذب سوف يُعاقب غداً في طابور الصباح.

وفي اليوم التالي ..

كنت أنتظر حفل إعدامي أمام تلاميذ المدرسة الابتدائية.وجاء المعلم وصرخ فِي وجهي :

– اخلع حذاءك بسرعة يا .... يا ...

وكنا في وقت الشتاء .. وبقايا دموع على وجه السماء .. وأنا أرتجف من البردِ .. ومن الرعب واستسلمت لحفل إعدامي بالمدرسة..

وجاء أحد عمال المدرسة وأطبق على قدميّ العاريتين وأنا مستلق على الأرض..وتحمس المعلم التربوي ورفع ذراعه في الهواء وهو يحمل عصاً

رفيعة. وأخذ يُلهب قدمي بالضرب .. ثم تركــوني على الأرض أتوجع مذبوحاً ..

وانصرف التلاميذ الصغار وهم ينظرون بعطف

وعيون دامعة .. ومنذ ذلك اليوم...

يوم إعدامي ... تعلمتُ أن أكذب ..

***

أول حب

كانت دائماً تسألني :

– حين نكبر.. هل ستتزوجني ؟

وكنا نلعب معاً أمام البيت .. ونضحك في براءة
وحين تأتي مع أمها لزيارتنا أُسرع بشراء بعض
قطع الحلوى وأقدمها لها في بهجة .

ثم تعود وتسألني بسذاجة :

–هل سنتزوج حين نكبر ؟؟

وأقسم لها أني سوف أتزوجها .. وعندما غابت
عن اللعب .. ذهبت أسأل عنها وعرفت أنها
مريضة واقتربتُ منها وسألتها :

–تعالي لنلعب مثل كل يوم .

وابتسمت أمها الحنونة ومسحت على شعرها
وقبلتها وقالت لي :

- هي مريضة .. ادعو الله ليكتب لها الشفاء وتعود تلعب معك .

قلتُ في حزن :

- إن شاء الله سوف تشفى.

ثم سألتها بقلق:

- هل ستعودين للعب معنا؟

فقالت في صوتٍ ضعيف:

- لا أستطيع اليوم بل .. ربما غداً .

وسلمتُ عليها .. ومسحتُ على شعرها كما فعلت أُمها.

وفي اليوم التالي .. لم أدر ماذا حدث .. ولكن وجدت أهل البيت في بكاء .. وأصوات نساء ينتحبن .. وفزعت .. وركضت نحو شقتها وعانقتني أُمها باكية .. وهي تقول:

-كانت تُحبك .. يرحمها الله .

وصرختُ من هول الصدمة باكياً:

- أين هي ؟ أُريدها أن تأتي لتلعب معي !!؟

وظللت أبكي .. وصوتها يدوي في فضاء قلبي :

- هل ستتزوجنى عندما نكبر ؟

عمو أمين

كان يحتويني إلى صدره .. ويقبل رأسي .. ويمنحني بعض النقود .. ويقول في حنان :

– اشتر الحلوى التي تحبها .

إنه عمو أمين ..

مازلت أذكر .. ملامحه الباسمة .. وروحه الطيبة وحنانه الأثير.. وكنت أفرح حين يصطحبني لبيته في تلك المنطقة البعيدة من المدينة .. أقرب إلى القرية في شوارعها غير الممهدة .. وبيوتها الصغيرة.

وكنا نجلس معاً نصنع الطائرة الورقية وأقف أمام الحقول الخضراء وطائرتي تُحلق في السماء وعمو أمين يقول :

- احذر تسحبك الطائرة إلى أعلى .

وأضحك وأركض في الحقول الخضراء والنسائم تكاد تحملني وتطير.

وفي يوم شاهدني عمو أمين أحفر تحت نافذة البيت بأصابعي .. فسألني في دهشة :

- ماذا يفعل الولد الصغير؟؟

ضحكتُ وقلتُ فخورًا بنفسي :

- أزرع نخلة هنا .. تعطينا رُطبا .

وابتسم وقال :

- زراعة النخلة هكذا ..

وأحضر فأسا .. وبدأ يحفر في الأرض الطينية وجلبت له حبات من نوى البلح وأخذ واحدة وغرسها في أعماق الطمي.

وقال لي:

- انتظر يومين .. ستظهر نبتة صغيرة.

وبعد مدة صرخت فرحاً :

- النبتة الذهبية ظهرت ..

وجاء وقال لي :

- النبات يحتاج للحب والماء والرعاية ولا بد أن نحافظ عليه.

وأحضر بعضاً من الأخشاب وربطها معاً وصنع سياجاً من الخشب حول النبتة الصغيرة حتى لا تجرفها الريح أو تأكلها الطيور.

ومرت الأيام .. والنبتة الخضراء تنمو

ومرت السنوات ...

وكبرتُ أنا ولم أعد أذهب إلى بيت عمو أمين.

وكان يزورنا ويقول لي :

- نخلتك كبرت يا ليتك تأتي وتراها .

وبعد سنوات ذهبت إلى المكان فلم أهتد إلى بيت عمو أمين .. فلا حقول خضـــراء .. ولا بيـــوت صـــغيرة .. ولا مســـاحات كبيـــرة مـــن الأرض الزراعية التي كنت أركض فيها .

زحف العمران والبشر .. ولكن من بعيـــد ظلـــت واقفة شامخة .. وأسرعتُ إليها بشوق .. وشاهدني عمو أمين وقال :

– انظر للرطب .. الأولادِ كل يوم يأكلون منه.

وكنتُ في دهشةٍ كبيرة ... كيـــف ظلـــت النخلـــة تتحدى الحجارة والأسمنت والبيوت الزاحفة تلـــتهم الأخضر وتغتال الحقول ؟

وحين مرض عمو أمين .. كنت أبكي بشدة مـــن أجله ويبتسم ويقول :

– هل تذكر عندما زرعنا النخلة معاً ؟

وابتسم وضوء النخلة مرسوم بظلاله على وجهه وغاب عن الوجود.

وبعد أيام ذهبت لزيارة بيت عمو أمين .. وُصدمت! لم تكن هناك النخلة الشامخة الطويلة المثمرة وقالت ابنته الوحيدة :

– يبست النخلة وسقطت أوراقها وذبلت أحشاؤها حتى تهاوت على الأرض جثة هامدة.

ولم أصدق ما حدث .. وذهبت إلى بقايا الجذع البارز على الأرض .. ولمست مسامات النخلة .. فإذا بها دافئة كأن الحياة تسري في جذورها

ولم أكن أدري ..

هل أبكي عمو أمين ؟ أم أبكي نخلتي التي لفظت أنفاسها الأخيرة ؟

***

أول درس

أول كلمة تعلمت أن أكتبها هي كلمة : حبيبتي
حين استلمت رسالة من صديقتى التي ألعب معهـا
كل يوم .. ولم أكن أعرف كيف أكتب ؟ تعلمتُ أن
أحب .. قبل أن أعرف تكوين الحـروف وكتابـة
الكلمات.

وجلس بجواري أخي الكبيـر يعلمنـي حـروف
حبيبتي

الحاء بجوار الباء والياء ثم الباء والتـاء واليـاء
وذهبت فرحاً .. وسلّمت لها الرسالة.

وحين تشاجر أخي معي .. ذهب وأباح السر أنـه
الذي يكتب الرسائل .. وجـاءت الفتـاة وكانـت
تكبرني بعام أو أكثر .. ورمت رسائلي في وجهي
وقالت :

- عندما تتعلم الكتابة تعال وأنا أحبك .

وظللت حزيناً ..أحلم أن أكتب وأقــرأ بســـهولة.. وكنت أتصفح المجلات وأتخيل الكلام .. وقررت أن أتعلم القراءة .. علني اجتاز قصــــور الحـــب الرحبة وأقول لها :

- ها أنا أقرأ.. وأكتب .. فهل تحبينني؟

وبعد عام أو أقل .. كنت أقرأ .. وأكتب مـــا أعبـــر عنه.. وحين ذهبت إليها نظرت لي بسخرية وقالت:

- لم أكن أدري أنك لازلت صغيراً لدرجة أنك لا تعرف تكتب رساله حب ..

ثم أشاحت بوجهها عنى وقالت:

- وهل سأنتظرك حين تتعلم كيف تكتب رســـائل الحب بنفسك؟

***

دموعي الأخيرة

كانت جارتنا الثرية كريمة في إحسانها ..

فإذا ما أرسلتني أمي إليها في حاجة ..

منحتني بعض النقود والحلوى .. وظللت أُحبها ..

وأُحب صداقة ابنها الوحيد .

وفي يوم من الأيام قُبيلَ أحد الأعياد ..

حملت أُمي إلينا باقة من الملابس الزاهية ..

والتففنا جميعاً أنا وإخوتي في دهشة .. وسـعادة للملابس الجميلة .

وجلست أُمي توزع علينا نصيب كل فرد من هذه الملابس ..

وعلمتُ أن جارتنا الكريمة بعثت إلينا بهدية العيـــد مثل كل عام ..

وأحببتُها أكثر .. وأحببت ابنها .. وصادقته كثيراً.

وفي يوم كنا مجموعة من الأصدقاء في الشـــارع نتنافس في كرة القدم .. وهزمنا الفريق الأخر الذي يقوده صديقي .. وتشاجرنا لعدم اعتـــرافهم بأحـــد الأهداف التي سجلناها.

وصاح صديقي غاضباً في وجهي غير معتـــرف بموقفنا ..

وأنا كذلك وقفت متحدياً رأيه ..

وكدنا نتشابك بالأيدي ... فإذا به فجأة يحدق فـــي وجهي ويمسك قميصي ويقول ساخراً :

– طيب .. اخلع قميصي أيها الشحاذ ..!!!

وانغرس سكين حاد في قلبي ..

وانهزمت روحي..

وشعرت بدوار حاد يجرفني ..

وصديقي الذي أحبه يقول للأولاد ساخراً:

- أمي دائماً تعطف عليه هو وإخوته وترسل لهم ملابسنا القديمة.

ثم التفت لي وصاح وهو يجذبني من ذراعي

- اخلع قميصي ..

وفي هدوء خلعت القميص في الشارع

وعدتُ عارياً إلى أمي..

غارقا في بحر دموعي !!

***

سندريلا

شاهدتُها بجوار الباب تبكي ..

وأمها المسكينة تكفكف دموعها وتقول لها بعطف :

- من أين المال لثوب جديد؟؟ ليس لكِ سوى مـــا تَعطَّفَ به علينا الجيران.

واقتربتُ منها ورفعتُ رأسها ودموعها تنساب على وجنتيها وسألتها:

- لم البكاء ؟

فقالت وهي تنتحب :

- لن ألبس فستاناً قديماً من الجيران ..أريد فستاناً جديداً مثل كل البنات.

وأدركتُ مأساتها ..

وتذكرت نفسي

حين جلستُ أنا أبكي ذات يوم .. وأمي تعـرض أمامي حذاءاً قديما قدمته لنا جارتنا الكريمة .

وقلتُ وأنا أهتز من بكائي:

- أخاف ابنها يفضحني أمام أصدقائي في الشارع ويخبرهم أن الحذاء أعطته أمه شفقة وإحساناً لنا.

وظلت أمي تتوسل أن أقبل ولا أبالي بأحد ..

ولكني عدتُ أبحث عن حذائي الممزق الوحيد.. وأسرعتُ إلى الخارج لمحل إصلاح الأحذية القديمة.

وعدت ونظرت إليها ..

الطفلة ذات العشر سنوات

وبرقت في ذهني فكرة خطيرة.

أخذتها في سيارتي وانطلقت إلى أرقى محلات ومراكز بيع الملابس وأوقفت السيارة وقلتُ لها :

- تعالي معي .

وهي تسأل في عجب :

- إلى أين ؟؟

قلت لها :

- أنتِ سندريلا اليوم.

واتفقتُ مع البائعات في المحل أن يذهبن بها لصالون تصفيف الشعر.. ثم يخترن لها أجمل ثوب وحذاء وحقيبة ..

وجلستُ في سيارتي منتظراً ..

حتى فوجئت بها أمامي .. والفتيات البائعات في المحل يبتسمن لها في ثوبها الأنيق الجميل .. وحذائها الجديد .. وحقيبة يدها الصغيرة .. وقد انسدلت خصلات شعرها على كتفيها.

هل هناك من يصدق ..

أن هذه هي تلك الفتاة الخادمة التي تعيش على الفتات .. وهبات المحسنين من الجيران؟؟

وركبت بجواري .. والنسيم يداعب خصلات شعرها وتضحك .. وتنظر في مرآة السيارة لترى وجهها.

وقلت لها :

–الآن لن يسخر منك البنات حين تلعبين معهن .. فأنتِ لم تستعملي ملابسهن القديمة .

وقفزت إلى صدري تقبلني ..

واغرورقت عيناي بالدموع ..

***

زعيم الفقراء

كنا مجموعة من الأطفال ..

بالمدرسة نشعر بالجوع أثناء فترة "الفسحة"..

كل الأطفال نراهم يحملون فـــي أيـــديهم بعــض الأطعمة والخبز الذي يحتوي على أشـــهى أنـــواع المربى .. والعسل .. والقشدة .. واللحم.

قررنا أن نتعاون نحن مجموعة الأطفال الفقراء .. بأن نسأل أصدقاءنا في قطعة خبز ..

وتُجمع القطع معي أنا زعيم الفقراء .

وقُبيل نهاية "الفسحة" .. نوزع على أنفسنا مالذ وطاب من بقايا الأطعمة التي جمعناها .. وكنتُ حقاً أشعر بجوع شديد ينهش أحشائي .. فأنا

تعودتُ أن أذهب إلى المدرسة لا أحمل معي سوى حقيبة كتبي المدرسية.

لم أكن أعرف أن هناك مصروفاً أشتري به .. أو طعاماً تُعده لي أُمى .. وتضعه في حقيبتي .. غير أن حقيبتي كانت رديئة .. وقديمة .. بالكاد تتسع للكتب.

وفي الحقيقة كنتُ أُشاهد زملائي الصغار يفتحون حقائبهم ويخرجون لفائف أُعدت بإحكام .. بداخلها بعض الكيك .. أو الحلوى .. أو قطع من الخبز تحتوى على أشهى الطعام.

واتفقت مع زملائي الآخرين الذين يأتون مثلي بلا طعام أن نشحذ من هؤلاء الأطفال الطيبين.

وكان كبريائي يحول بيني وبين القيام بذلك فقد اكتفيت أن أجمع ما يجلبونه لي في منديل أبيض ..

وأنا جالس بأحد الأركان خلف الفصول .. بعيداً عن أعين الصغار.

وحين كان يمتليء المنديل .. كنت أخفي قطع الحلوى والخبز في جيبي .. دون أن يراه زملائي...ونبدأ في التوزيع ونأكل .. ونفرح .. ونلعب.

ولكن أحد الأطفال سألني يوماً:

- هذه الكمية صغيرة .. ونحن جمعنا كميات أكبر من ذلك ..فأين الباقي؟؟

وأقسمت له أن هذا كل ما تم جمعه ..

وانتحيت جانباً قصياً ..

ولكني لم أستطع أن اتناول ما أخفيته عنهم .

***

جلباب أبي

قلتُ للرجل بغضب :

– لا أحد هنا ..اذهب .. ودعنا ..

ووقف الرجل المسكين يسأل حاجة له.

وأنا بكل قسوة أصيح فيه أن يذهب .. والرجل يقول في توسل :

-أعطوني خبزاً .. أو طعاماً .. ساعدوني..!!

وسمع والدي بعض الضجة والحوار فأتى مسرعاً يستفسر.. قلتُ له :

– إنه الشحاذ يا أبي ..

ونظر أبي إلى الرجل الجالس أمام باب الشقة متهالكا من الإرهاق .. ويمزقة الفقر .. والجوع.

ثم رمقني أبي بنظرة عتاب قاسية توقعتُ بعدها صفعة موجعة.. وتقدم من الرجل وصرخ في وجهي:

-اذهب واحضر بعضاً من الطعام.

وعدتُ أحمل آنية الطعام ووضعتها أمام الرجل الشحاذ.وبعد أن أنهى الرجل طعامه .. نظر إلى أبي وأطبق على يده يقبلها ويشكره ثم قال له:

-أريد جلباباً يسترني .. لو أ عطيتني هذا ..

وأمسك الرجل بثوب أبي ..

وكدتُ أصرخ في الرجل أن يترك ثوب أبي..

ولكن تراجع أبي داخل الشقة .. وخلع الثوب الذي كان يرتديه .. وقال للرجل :

- إنه لك .. من نصيبك ..

وكنت أعلم أن هذا الجلباب الأبيض هــو الوحيــد الذي يذهب به أبي إلى صلاة الجمعة.

وتجمدتُ في مكاني ..

وأنا أرى الشحاذ يلملم الثوب تحت ذراعة ويمضي صارخاً بالدعوات لأبي.

وأبي يقف نصف عار بملابسه الداخلية.

***

المريض

كنت مصاباً بسعال حاد ..

حتى في يو ما .. ضجر مني المعلم وقال هازئاً:

- اسكت يا مريض..كفاك سعالاً.

وضحك الأطفال في الفصل .. وتمنيت أن اختفي عن الوجود.وسألت أمي :

- متى أُشفى من السعال .. فقد سئمت من نفسي.

نظرت لي أمي بشفقة وقالت :

- غداً نذهب إلى المستشفى!!

وأدركت أني لن أذهب إطلاقاً ..

فقد سمعت هذه العبارة كثيراً كلما مرضت .. وأصابني الهزال والسعال.وكنت أحاول أن أضع

يدي على فمي حتى لا أسعل ويضـــحك الأطفـــال ويسخر منـي المعلم.

ولكن كانت صدمة كبيرة دمرتني حين رفعت يدي أشارك في النقاش فاختارني المعلم وقال :

- نسمع المريض .. تحدث يا مريض ....!!!

وبين ضحكات الأطفال وقفت كالقشة في عصــف الريح وتكلمت في ثبات وأنا منهار تماماً.

ووجدت المعلم في كل مرة يناديني: المـــريض .. المريض حتى صار هذا لقبي في المدرسة.

وكنت أسال الله أن يموت هذا المعلم أو يشفيني من السعال الشديد الذي يعصف بجسدي النحيل وأكاد أهوى على الأرض.

وتعودت وأنا في فناء المدرسة أن أختبيء خلــف جدار كلما فاجأتنى نوبات السعال.

وذات لحظة ..

حين كنت في مخبئي أسعل بشدة

وجدتُها تقدم منديلها الصغير لي وتضع يدها على كتفي وتقول بعطفَ:

- أنا كنت مريضة مثلك وذهبـــت للـــدكتور وشفيت

وغداً أنت كذلك.

وحين تركتني ..

انفجرت في سيل من البكاء

ومنديلها يغطي وجهي.

***

دموع أمي

سمعته يصرخ في وجه أمي:

- اذهبي إلى بيت أهلك لا أريدك؟

وتبكي في توسل :

- أولادي من يرعاهم ؟

ومن تحت الغطاء وأنا نائم .. شاهدتها تنتحب وتحترق ألماً في ركن الغرفة.وفي الصباح حملت حقيبة صغيرة وقبلتني في حزن:

- سوف أزور أهلي .. لا تنس إطعام الدواجن والحمام.

وأدركت أنها تتألم .. ولا تبوح بشيء .. وشاهدت البيت مسكوناً بالصمت .. والضجر .. والموت .. ظللت أبكي في وحدتي .. ثم تذكرت الطيور التي ترعاها أمي .

كنت أفكر كيف أجفف دموع أمي في عـذابها فقمت بجمع بيض الطيور في منديلي وذهبت بـه فرحاً إلى أمي لعلها الآن جائعة.

وكانت باكية .. حزينة .. ذابلة .. وأهلها في صمت وكآبة .. وقدمت لها هديتي .. وضمتني إلى صدرها.عدت إلى البيت فرحاً فاذا بأبي يصرخ :

- من سرق بيض الدجاج ؟

وإرتعد قلبي .. وشعرت بدنو الموت .. ولم استطع أن أتحدث .. وأقسمت له أني لا أعرف .

ولم اغف في تلك الليلة .. فسوف يكتشف الحقيقة..

وظللت أبكي طوال الليل

خائفاً من أبي

ومتشوقاً إلى أمي.

***

أنا وأمي

سألت أمي :

– من أين أنا جئت ؟؟

وابتسمت وقالت :

– ذات يوم .. وجدناك على باب المسجد

ودهشت كثيراً ..

لماذا على باب المسجد؟

وكنت كلما ذهبت للصلاة

نظرت حول المسجد ربما رأيت طفلاً هنـــاك

أهديه لأمي .

***

من أجلها ..

كنا نلتقي بين المزارع .. وحقول القمح في قريتنا.. تأتي ومعها بعض الثمر وأعواد الذرة نفترش الأرض ونلهو في الجدول الدافق بالماء ونمد أيدينا نصطاد الأسماك الصغيرة نضحك وأركض خلفها تلك الفتاة الريفية البريئة .

وفي يوم عدت إلى البيت وجدت من يناديها وسألت:

- هل جاءت لتلعب معي؟

رمقتني العيون بنظرات قاسية وسمعت أحدهم ينهرني قائلاً:

- إنها الخادمة !!! هل ستلعب مع الخادمة؟؟؟

ومزق الحزن قلبي .. وحُرمت منها وبكيت من أجلها كثيراً.

عالم الرومانسية

طعنة فى القلب

غريقاً في دمائي أسقط

أتكوم في ركن من الجدار

والطعنة في القلب.. في أعماقي تنزف

يرتجف جسدى المنهار

وآهات .. وأنين يدوي على صدى آلامي

وأصرخ مجنوناً:

- من كان القاتل ومن القتيل؟

سيدة الوجة البرىء ..سيدة الطهر الصبوح

تلك التي شاهدتها تطارد فراشات المساء

واليد تعانق اليد ..والقلب مرسوم على صفحة

العيون .. سيدة الشوق والأشواق

والعناق الأبدي ..تحت اشجار البنفسج ..

في حدائق الاحلام ..

وكنا نركض في مراعي العشق أحراراً
لتشرق دروب وتسدل ستائر ..وشهقات العشق في
انتشاء وسيدة العشق الكبير ..تفجرت انهاراً
وأشرقت نهاراً
وهمست : خذني اليك يا حبي الأوحد
أنت مليكى .. وأنا جاريتك
وعدونا معا تلهث خلفنا السنوات
ويتجمد الصقيع دفئا من عشقنا
ويضيىء القمر الوانا من عيوننا
وفجأة..سقطنا في جزر الوحشة
فلا الأشجار وارفة الظلال
ولا الشموس ساطعة الضياء
إن الطعنة لازالت في وريد القلب

تنزف والعاشق من هول عشقه

يترنح مذبوحاً

أما كيف تحولت عيونه

إلى لوحين من زجاج

وتحول قلب الحبيبة الى طلقات رصاص

فانشطر الزجاج وتهشم منثوراً

وسقط الوهم الجميل

فهذا ما لم يدركه عاشق العصر

***

حبيبتي الأولى

كنا نمشي كثيراً داخل المدينة..

أُحبها وسأموت من أجلها... أفديها بعمري وحياتي

ونمشي كثيراً في الشوارع ..لا نحلم بشيء سوى أن نظل معاً.

نجلس تحت الشجر إذا تعبنا .. ونقرأ قصائد العشق والغرام..

ونعبر الشارع وأصابعنا متشابكة..

ونركض في الشتاء تحت المطر..

ويدهشني شعرها المبلل ..وأصابعها الدافئة

وقلبها المتدفق بالحنان.

وكنا نمشي كثيراً .. ونضحك كثيراً

ونقف على ضفاف النيل نتأمل.. ونحلم أن نظل معاً إلى الأبد .

وذات يوم تكسرت كلمات حزينة على شفتيها

–جاء شاب للزواج مني !!!

ولا أدري لماذا كرهت أهلها ..

وكرهت نفسي ..

أنا الفقير الذي لا يملك سوى شهادته الجامعية.

فلا سبيل أمامي ... كل الدروب ظلام وضياع..

وفقر وخراب .

واستسلمنا معاً للأقدار ...

وكلما خطوت في شوارع المدينة التي مشينا فيها

ارتعدت مشاعري ..

وتنهدت روحي بالعذاب ..

وتنفست أحزاني ..

وطفرت دموعي .

***

دموع الياسمين

تنهدت ورود الياسمين ..ارتعشت أوراق خضراء

تلاشى الضوء .. وارتمى على العشـــب النابــت

خجلت الشمس .. وتوارت في الغيوم..

وصرخ النهار..وبكت الظلال ..

حين جلست الطفلة البريئة تبكي في صمت

والمارة ذاهلون عنها .. والمدينـــة غارقـــة فـــي

الضوضاء.وصوت طفل يستفسر في دهشة :

- اُنظر ياأبي لتلك الطفلة!!

والأب يضحك وينهر طفله ويقول :

- ماعليك ...دعها .. إنها مجرد طفلة تبكي!!!!

***

المجنون

قالوا له :

- أنت مجنون !!

- أنت تريد أن تقدم روحك للموت بلا ثمن !!

- أنت رومانسي وخيالي!!

ولكنه قد عشقها ويحلم أن يراها.

وسافر إليها ..وانفجر المكان .. نيران .. دبابات .. حرب في الشوارع ..مظاهرات صاخبة.وتملكه الغضب الشديد فلم يأت ليقاتل وإنما ليرى وجه الحبيبة ويحيا ذكريات تظل خالدة في تاريخ العشاق. بحث عنها .. وهرب بها بعيداً عن الغبار ودخان القنابل وطلقات الرصاص.شعر بالندم وقرر العودة إلى بلاده .قالت له :

– أنت وطني .. وأنت حريتي . وأنت سر بقائي

حاول أن يقنعها بالعودة معه . رفضت أن تتخلـــى عن بلادها في المحن والشدائد وقالت له في يأس:

– يجب أن ترحل من هنا حـــالاً . وحـــين تهـــدأ الأمور يمكن أن نلتقي .

وفي الفجر شقا طريقهما بجوار النهر ليعبرا إلى وطنه.وهمست له :

–إني أحبك رمزاً كبيراً ولن أتخلى عنك أبداً .

وفجأه ظهرت الطائرات الحربية في السماء تمطر المتظاهرين في المدينـــة بالرصـــاص وأســـرعا بالاختباء بين الأشجار.

وقال لها في هلع :

– لا يمكن أتركك هنـــا فـــي هـــذه الحـــرب .. والدمار.. والدماء .. سنرحل معاً ...

ولكنها كانت صامتة..فقد تفجرت الدماء من جسدها.

وذعر لصورة وجهها المخضب بالغبار والدخان والدماء .. وصرخ وانهار على جسدها باكياً..

وعيناها تتطلعان إليه وتحملقان صوب وطن يتهاوى تحت الصواريخ والقنابل والرصاص ...

ولكن عاد .. إلى الداخل .. وغاب مع الجموع وقرر أن يكون هذا المجنون الرومانسي الكبير وصوتها يدوي في الفضاء :

–إني أحبك رمزاً كبيراً ولن أتخلى عنك أبداً.

***

القمر

سألتها :

- ماهي أحلامك يا صغيرتي ؟؟

ابتسمت وقالت في حماس شديد :

- أن يزورني القمر .

وحين وجدتها في يوم ما نائمة على فراشـــها حمامة وديعة

كان ضوء القمر ينساب من نافذتها ويفتــرش وجهها الصغير والوسادة .

وحاولت إيقاظها لترى ضوء القمر يزورها ..

وأن أحلامها تتحقق

ولكن تراجعت ..

***

أحببته

ارتجفت أهداب عينيها .. وارتعـد القلـب بـين الضلوع وارتاحت خصلات من شـعرها فـوق الجبين.

مدت أنامل مشتاقة .. وأشـعلت فـي الفضـاء سيجارتها .. وفي كثافة الدخان .. تخيلت وجهـه وبسمة عينيه .. وسحر كلماته..

أضاء ثغرها بنور الأمل .. رسمت فوق الصفحات البيضاء حمامة .. وسنبلة قمح .. وفجر جديـد .. ونهرا يتدفق .. وشمساً تشرق .. ونخيلاً.

همست في شوق:

– إني أحببته وسلمت أمري.

ومن نافذتها .. لمحت عصـــفورين .. يتناغيـــان وموسيقى .. وأنغام .. طوت أوراقها وتوســدت ذراعيها .. وغفت فوق السحاب.

***

البريئة

قال لها وفي عينيه بريق من الأسى :

- من أين يولد الياسمين في مزارع روحك ؟

نظرت إليه دون أن تدري ماذا تقول أو كيف تعبر
وانساب صوته كاللحن الهامس :

- أنتِ البريئة في زمن الإدانة ..

وأنتِ الصافية .. في بحار تطفو عليها الآثام
.. أنتِ العصفورة الطليقة .. في عصر
الأزمات والقيود.

وظلت يكسوها الخجل

وتعانق الصمت مع ظلال شعرها الأسود

وعاد يثير أمواج البحر في قلبها :

– أنتِ نهر الحنان المتدفق دون عودة .. !!

وتساءلت : كيف يعني ؟؟

فرسم أمامها سماء .. وبحراً ..

ونباتات تقاوم الريح

وطفلة تركض .. في المراعي ..

تود أن تعانق الشجر والأمطار ..

ولكن تجرفها الريح .. وتقاوم .. وتقاوم

وهنا صاحت في رقتها الناعمة :

- يا ويلي .. من هذا الزمان الجارح!!!

***

الصوت الحنون

وجاء صوتها من بحار الشجن ناعماً .. حنونـــاً..
في زمن الضياع..والمحن .

كانت في صوتها شموساً تشرق .. ومواكباً للنور
.. ومواسماً للحرير.

وهو صوب حافـــة الهاويـــة يمضـــي .. ويحلـــم
بالانتحار ويعانق الموت أحلامه ..

فهمست فزعة:

– يا ويلي من أيامي بدونك..!!

وفجرت إليه بحاراً من الحنان .. وأطلقت عصافير
من قيدها .. كانت تحلم يوماً بالحرية وزرعت في

حدائق القلـــب ســـنابلاً خضـــراء .. وشـــجراً .. ووروداً..

حتى ذات ليلة والقمر باسم في السماء قال لها :

– أنتِ أميرة البلاد .. وسيدة البحـــار .. وقمـــر السماء أنت الصوت الهامس .. العميق .. والقلب الرقيق واللحن الحزين.

خجلت وأرسلتْ نظرات شوق إلى الحياة والحلـــم الغائب وقالت:

–آه من هذا العذاب ؟؟

تأوهت الروح في أحشائه..وصرخ نـــورس تائـــه فوق صفحات البحر باحثاً عن ميناء وعش لديها.

وحين ظل مستغرقاً في صورتها .. شاهد ملاكـــا يطعم العصافير ويمسح دموع الأطفال .. ويرســـم البسمة فوق شفاه القلب .ثم يغفو الملاك في غرفته يبكي في صمت وقهر.

وصوتها مازال يتردد في الفضاء :

- آهٍ من هذا العذاب

***

الوجه الحزين

حروف توهجت بدموع النقاء .. وأحزان العصافير التي رحلت عن أعشاشها .. والقمر الشاحب خلف ضباب الزمان..كلما رسم الحرف يعانق الحرف .. احترقت الأوراق .. ونزفت الدماء.

يا ويلي : هل للحروف إحساس وقلب ومشاعر..؟

وحاول مرة اخرى أن يرسم وردة .. وعصفوراً وشجيرة صغيرة .. بكت الوردة وتدلت أوراقها وتناثرت مع الريح .. وسقط العصفور مضرجاً بدمائه .. وأوراق الشجر.. تغطي ملامحه.

وتملكه الخوف والهلع والتفت حوله .. فإذا الأبواب دموع ... ووجه طفلة يتألق بابتســامة حزينــة .. وصوت باكياً في الآفاق .. يهمس: أين أنت ؟؟؟:

***

امرأة من سحاب

تأملها من خلف سحابات الأفق البعيـد .. كانـت تختال في ثوب أخضرمن أوراق شجر الربيع .. وتلهو مع أطفال من ورد وياسمين .. دنـا منهـا على حذر .

كانت ضحكاتها موسيقى .. تعزفها الحقول للسنابل وشاهدها .. تمشي في خفة على ظـلال القمـر.. وأعشاب الأرض تطلع على أطراف ثوبها تقبل ألوانه..

تهيأ إلى عناق أشواق من الحب الغامر.. وانفجرت في كيانه أساطير للعشق .. وأنهار من حنـان .. والتفتت إليه وسألته عما يريد فقال : أنتِ

حلقت بجناحين من ورد ونور.. فاستضاء النهـر والشجر والعشب .. وضحكت السـماء .. ولكنـه لمح دمعة تنساب من عيون الكون.. ويفيض النهر بالدموع وابتسامتها تضـيء الزمان

موسيقى الروح

انهارت أيامي ....

وتبدد الحلم الأخير ..

حين شاهدتُها تعزف على البيانو أنغاماً شاردة .. موسيقى تتموج في فضاء المطعم .. وتبعث الأشواق .. والذكرى الجميلة هدأ قلبي على أجنحة الخيال .. وسافرت إلى جزر العشق وشواطيء الأحلام .

سألتني في بسمة مشرقة :

– أراك محلقاً مع عازفة البيانو.

فهمست لها :

– موسيقاها تحملني على نغمات الحلم إلى قلبك الرقيق .. وأيامنا الجميلة .

ومدت يدها إلى آنية الزهور وقدمت لي وردة يانعة .. وقالت بفرح طفولي :

- مأجمل الوردة للتعبير عن الشكر العميق !

ونهضت من مقعدي .. وفي يدي الوردة .. وتوجهت إلى هذه المرأة الرقيقة .. التي تعزف أرق موسيقى تحلق بالروح.

وابتسمت لها .. وأنا أقدم الوردة وقلت :

- وردتي تعبر عن عميق الامتنان لموسيقى الروح.

ولكنها .. لم تهتم كثيراً ..

فنظر لي رفيقها وأشار إلى عينيه..

وانهارت أيامي

وتبدد الحلم الأخير....

فقد كانت عمياء ..

***

حسـرة !!

قالت في حسرة وألم :

- ماأسوأ أن تجد حبيبك .. وأنت تعلـــم أنـــه ليس من نصيبك!!!

تألمت لكلماتها الحزينة ..

ووددتُ تغيير الزمان ..

والمكان .. والناس والأشياء والمصير

وأهديت لها الحب صافياً

وجففت الدموع الحائرة

ولكني انتحيت جانباً قصياً ..

وظللت أبكي وحيداً

***

عشق ملائكي

في صوتها .. شجن العصافير الراحلة ..

إلى جزر المدى البعيد ..

وفي حديثها حزن البلابل ..

ودمع الفراشات الباحثة عن قطرة ضوء في المساء
أما ضحكتها فتحمل تغاريد الصباح ..

وبراءة الطفولة.

في قلبها يتناثر الحب بحاراً .. يتدفق الحنان أمطاراً سألتها :

- من أنتِ يا وردة الصباح ؟ من أنتِ يا منى الحياة ؟

تأملتْ الأفق النائي ..

ومسحت على دموع القمر واحتضنت الأعشـــاب البرية النابتة .. في الصحراء. ولجأ عصفور تائه يختبيء بين يديها ثم همست :

-أنا روح هائمة في الكون .. تمنح الحب وتفيض بالعطاء .. أنا سحابة تهمى بالمطر .. وتحمل سر الحياة .. أنا التي مَنحتُ روحي للعالم وفي وحدتي أُصادق البكاء.

ولمحتُ دمعتين خلف الأهداب

دمعة من نور ..

ودمعة من نهر النقاء.

***

دمــوع

تدفقت دموعها ترتجف في بريق العيون ..

لم تتصور أنه يقف أمامها مبتسماً في فرح

ويقول فاتحاً ذراعيه :

- عدتُ من أجلك وحدك ..

وصرخت وارتمت بين ذراعيه في بكـــاء مــؤلم

وتقول:- لا تتركني ..

ويحتويها ويضمها إلى صدره ويقول:

-لن أسافر بدونك .. ستظلين معي إلى الأبد.

وأشرقت شمس تتلمس ستائر النافذة وتنساب بشعاع

دافيء يضيء الفضــاء ويــبهج الــروح والقلــب.

وعصافير قررت أن تشيد أعشاشها في هذا المكان.

***

أنـا

اليوم كان ساحراً وجميلاً ...

قمت من نومي طيفاً يتهادى ..

تعطرت بنسيم الصباح ..

توضأت بقطرات الندى .. صـــليت الفجـــر فـــي

مساجد من نور .. وقرأت آيات من سورة النور.

خرجت إلى العالم .. احتضنت الآفاق ..

تبسمت في وجه الشجر العاري ... والنبت اليتيم ..

والنخيل المنكسر الهامات ..

تصدقت ببعض المال على أصـــدقائي الفقـــراء ..

حين أراهم كل صباح .. يبحثون عن العطاء.

قدت سيارتي في دروب من سحاب ..

وشاهدت بيوتا صغيرة .. كأنها قصور من السماء

وأنا أحلق فوق الحدائق .. فوق الأنهار .. ما بين الظل والماء.

تنهدت في داخلي نوارس..

كانت تحلم بالحرية والآنطلاق ..

واحتضنت البشر ..

وعانقت فيهم رسول الأنبياء

رجلاً يسمى الصادق .. الأمين

وأخر المرسلين ..

أنقى الأتقياء.

***

القارئة

فى رقة الفراشات تقرأ :

ويستمع إليها .. ثم يصرخ إذ اقترفت خطــأ فــي الكلام ..

ومازالت تقرأ .. وقلبها سابح في نهر الأحلام :

– أحببته ملكا على مدائن عمري .. أميــراً فــي مملكتي .

ويصرخ :

– كيف ذلك .. هل أنتِ نائمة ؟.

وارتجفت أعصابها ..

وكأن ريحا عابثة أطاحت بها نثرتها في كـــل مكان ..

ومازالت تقرأ : مسافرة في عيونه ..

وصوته ونبض قلبه ..

ومازال ينهرها ويراجع كلماتها ..

ودموعها فوق صفحات الكتاب تنساب.

يشكرها

ويمضي غائباً كالطيف

وتنهار في مقعدها .. عاصفة من بكاء.

***

الشموع

أضاءت الشموع ..

نسقت أجمل الورود في الإناء ..

فتحت نافذتها لتسمع صوت البلابل في الحديقة ..
ضج المكان بالموسيقى الحالمة .. والضوء المتسلل
على المقاعد يختال فرحاً .

دق الهاتف .. وارتعدت نبضات قلبها ..سقطت
فوق مقعدها ..والورود تئن تحت اقدامها ..

والشموع تذوب في الدخان ..

تحت قطرات الدموع

***

وردة الأصيل

وردة تقف على حافات الأصيل .. نهر من عبيـــر والشمس فى حسرة الغروب .. عصفورة مهاجرة ضد الريح والبروق لا تبالي حداً .. أو حدوداً.

امرأة في عصر العلم .. والنور تغزل بأناملهـــا ثوباً للقمر العاري .. وتحتضن حقلاً يتنهد في يأس .. تروية من نهر الحنان ..

سألتها في دهشة :

– من أنتِ في هذا الوجود ؟

ضحكت .. فأشرقت شموس في عينيها ..وحلقـــت نسائم حول خصلات شعرها ..

تدانت .. وتمايلت .. ورفرفت بجناحيها وقالت في رقة:

- تحسبني نجمة المساء .. أم طائراً مهــاجراً أم غيمة مسافرة عبر الصحراء ..أم وردة الأصــيل تبكي دون دموع ؟

قلت لها في عجب :

-خلتكِ بــراءة العصـــر .. نبــوءة الــدهر .. أو إشراقة العمر

تبسمت في وداعة .. وطوت أحزانها مع الريح .. ومرت كالشهاب .. تخترق حجب الآفاق ..

وقالت في صوت غنائيات النسيم :

-أحبك ...

وحَلقتْ بعيداً والرعود تردد كلماتها فـــي أنحــاء الكون وللصدى ترتعش خفقات قلــب الأشــجار والحقول

أحبك أحبك أحبك ....

***

كل مساء

في كل يوم يتهادى المساء .. بين يديها وأهمس لها:

– مساء الخير ..

تضحك الكلمات .. وتضيء على شفتيها .. وفي صوت كرنين البللور تقول:

-أهلاً مساء الفل والياسمين..

وأُسافر معها خلف مدائن جديدة وسحابات تحملنا بعيداً وأشعار تحلق بنا في الكون .. وننسى العالم .. والأحداث والدنيا .. وتتحول الحياة إلى عش من الورد .. وغمامة من العشق .

كل مساء حين تتعانق الكلمات .. تترقرق الجدران وتسيل حناناً .. ويغفو القلب في بحيرة

الحب والذكرى .. تنبت الزهور وتغرد الحمائم
حولي وينفجر ينابيع من الرقة وممالك من الأحلام

كل مساء يدندن الكون قصيدة العشق .. والفناء
كل مساء.

***

ذكريات

جلس يتصفح رسائل زرقاء ...

مازال يفوح منها عطر الشـــوق ولوعـــات الاشتياق .

توقف أمام صورتها:

–ما أروع تلك الأيام العِـــذاب !! .. وزمـــان العذاب . أين أنتِ الآن أيتها الوردة الندية؟

سالت من خلف الأجفان دمعتان.....وأفاق علـــى صوت طفولي يقول :

– ماذا تفعل يا جدو ؟

واحتضنها بشوق بالغ .. وكأن وردته النديـــة قـــد عادت إليه من خلف السنوات الغابرة .

***

عالم الحياة

الدنيا

في الفجر .. صليت ركعتين .. ودعـوت ربـي مرتين وقرأت من المصحف سورتين ..

وفي الشارع تصدقت ببعض المـال علـى أحـد الفقراء

فقال لي بوجه حزين :

-أنت لست من أهل هذه الدنيا !!!!

ومضيت أُفكر فيما كان يقصد المسـكين..وحـين وجدتني مشاركاً الجمع فرحتهم .

قال أحدهم :

-أراك اليوم من أهل الدنيا !!

وارتعشت روحي في جسدي

***

لقاء

تأملها .. هذا الملاك الصغير .. ابتســامة خجــل تضيء بين شفتيها .. تعثرت الحروف الجميلة .. في فمها الدقيق ..الصغير .

تناثر شعرها مع نسائم الصباح .. مد كفه في فرح غامر.. مدت أصابعها وخطت إليه بهدوء .. حملها بين ذراعيه ..

وغابت بين شلالات من قبلاته .. وهمس لها فــي ابتسامة كبيرة :

– من أنا ؟

ابتسمت في دعة .. ونظرت إليه تمسح على رأسه وتقول بصوت خافت :

– جدو

وانسكبت موجات من نور الحياة

تحمل روحه إلى عالم جديد .

غفران

قلت لولدي الشاب :

-أن تعفو .. أن تتسامح .. أن تغفر خطايــا البشر وأخطاء الآخرين

فأنت لك المكانة العليا دائماً .

ضحك وقال :

- ياأبي السن بالسن .. والعــين بــالعين .. والبادي أظلم ..

واهتزت أركان الأرض ..

وأرتعدت السماء

وهربت حمائم السلام

وسقطت أوراق الحب الخضراء

هاربة من المستقبل الغامض.

***

حكمة

قلت لولدي الصغير :

- الحياة ليست لهواً ولا عبثاً ...وإنما هناك حكمة في الثواني .. والدقائق.

والأيـــام .. والشـــهور .. والســـنوات .. والدهور .

نظر لي في حيرة...وسأل :

- ماذا تعني؟؟

قلت :

- خَلَقَ الله الكون لرجال أشـــداء .. وعقـــول مدبرة وقلوب رحيمة .. وروح جسورة .

وتعذر ولدي ببعض المشاغل ..

وولى هارباً .

***

الجريح

شاهدته في إحدى المرات التي كان يتدرب فيهـــا

على حفلاته الغنائية ..

صدح بصوته الرقيق ..

تمايل مع الموسيقى ..

وطرب له المكان .. والمقاعد الخالية ..

وفجأة ... توقف اللحن وتقدم منه الطبيب ..

وناوله بعض الحبوب وكوب الماء ..

جلس متهالكاً .. صدر صوت يقول له :

-هل نتابع ..؟

أشار لهم بيده ... لا يستطيع .. وتجمعوا حوله

وهو يمسح على شعره من الإعياء .. والإجهاد

والعرق يسيل على وجهه ..

وبعض المساعدين حوله ..

من يحمل الدواء .. من يحمل كوب الماء ..

من تدمع عيناه في صمت ..

وبعد برهة من الزمن ..

استعاد بعضاً من نشاطه .. وبدأ يغني

وتدمع حوله الظلال

وتحني المقاعد هاماتها حزناً

وفي ليلة الحفل الكبير...

كان الجميع يرقصون طرباً على أُغنياته

وقلبي يبكي من أجله

***

حول الكعبة

دارت حول الكعبة .. سبع مرات

وانهمرت الدموع من عينيها .. بحاراً

واهتزت أركان الأرض

واحتوتها السماء الرحيمة

وتذكرت الجميع

وظلت تدعو لهم بالخير والسعادة

حتى ولدها العاق

الذي استولى على شقتها وأموالها وطردها من

بيتها بعد وفاة زوجها

حتى هذا الولد

ظلت تدعو له بالهداية والخير والسعادة

***

هاجس

جلس يفكر في صمت

وتناوبته الهواجس

والتفت حوله الملائكة

تدعو له أن يخطو إلى عالم جديد

نقي مقدس

***

المرآة

قال لي في شجن آسر :

- من الممكن أن تصبح المرأة .. هي السكن

والملاذ

والوطن ..

والمأوى الأخير .. من شرور الحياة

وسخرية الأقدار .

وتطلع إلى صورتها ..

التي تزين الجدار .. بشريط أسود

وبكى في صمت ..!!

***

دمعة حب

حين امتدت أناملها .. ولمست ستائر الكعبة

انبعث النور في روحها

وسمت فوق هامات السماء

ورفعت رأسها إلى أعلى

الدموع تنحدر على وجنتيها

وحاورت ربها

والملائكة تحيط بثوبها الأبيض

ثم حين علت وسمت .. وتجاوزت الآفاق

قالت باكية:

- إني أحببته ياربي .... غفرانك

***

العقاب

غضب وانفلت مسرعاً من أمامي

وقبل أن يمضي توسلت له :

-أريد أن أراها .. أرجوك يا ولدي..

ولم يول اهتماما بتضرعي وتوسلاتي .. لقد قـــرر أن يحرمني منها .. فماذا أفعل ؟؟إما أن أرضـــخ لرغباته المادية .. وأمنحه ما يريد دون اعتراض أو لن يجعلني أراها أبداً .

أحبها وأكابد أشواقي من أجلها ..

هي الوردة الأخيرة في حياتي ..

هي الشروق والنهار والفجر

هي الأمل .. والمستقبل ..

ولكنه قرر أن يدمر أحلامي.

وامتدت يدي واحتضنت صورتها وهي تبتســـم ..

وتهيأ لي أن ثمة ضوضاء في الخارج ..

إنتفضتُ .. وركضتُ أفتح الباب

فإذا هي طفلتي حفيدتي أمامي وصاحت :

– جدو

وارتمت على صدري وظَلَلتُ أُقبلهـــا .. وامســـح

على شعرها الناعم .. واحتضنها بحب وحنان..

ولكن حين فتحت عيني

لم يكن على صدري سوى صورتها ..

تشع بالحياة ..

وبسمتها البريئة. وانهارت مشاعري ..

وغرقت في بحر دموعي.

***

الحبيبة

رحلوا جميعاً وتركوني..

ليس لي سواكِ.. أنتِ حبيبتي الأولى والأخيرة ..

ودنا منها وتحسس شعرها .. وانطوت في أحضانه

.. وهمس لها :

– عذابي الوحيد أني لا أدري أين أذهب ؟ .. من يسأل عني؟ .. من يقول لي صباح الخير ؟ من يهديني وردة؟ .. من يذكرني إذا مرضت ؟ .. من يقدم لي فنجان القهوة في الصباح؟

وتطلع إلى عينيها .. لمح بريقا من الحزن والدمعات فظل سابحاً في أحزانه يقول :

–عَبرتَ أعوامي السبعون ..

ورحل عني الأبناء وماتت زوجتي الوحيدة ..

وابتعد اقاربي ..

لم يعد أحد يعرفني ..

رحلوا جميعاً وظللتِ انتِ بجواري.

وجذبها إلى صدره..

عانقها .. قبلها .. في كل مكان..

وأخذ يتطلع إليها في حب .. وحنان ..

هزت ذيلها ..

وقفزت من فوق ذراعيه .. تختال وتموء في البيت ويتردد صدى صوتها .. وتعود الحياة.

***

المثقف

هي امرأة أوروبية .. صديقتي على شبكة الإنترنت .. نتحدث معاً عن الحب .. والحياة والرجال .. والنساء.

هي جريئة .. حرة .. صادقة.

دائماً تتيه بنفسها وتقول:I'm free woman

تكتب أحياناً أجمل القصائد وأعذب كلمات العشق.وأكتب لها أجمل القصائد .وكل يوم ترسل لي صوراً لها مع عائلتها وأصدقائها ورحلاتها حول العالم.وصرحت لها فخوراً بنفسي :

- أنا مثلك حر وصادق ..

وظللنا كل يوم معاً.

هي تؤكد لي أن زوجها يعرف أني صديقها الأثير لديها ويراها تحادثني ولا يملك أن يقول شيئاً. وأنا كذلك .. أقول إن زوجتي تعرف إنها صديقتي المفضلة ولا يمكن لها أن تفعل شيئاً.. أنا رجل حر مثلها.

وفجأة ذات يوم داهمتني زوجتي وأنا على النت مع الأوروبية فقلت في وجل:

– هذا صديقي الأوروبي يساعدني في بعض المعلومات حول تلوث البيئة.

وضعت زوجتي كوب الشاي بجواري وقالت في طيبة قلب :

– ربنا يساعدك..... مشاغلك وأبحاثك كثيرة.

***

حريق الكتب

قال لي في ضيق وغضب :

- ما هذه الكتب التي معك؟؟

وخطف مدير المدرسة الثانوية مجموعة الكتب التي كنت أحملها وقد شاهدني وأنا أقفز من فوق السور بعد أن أغلقوا باب المدرسة.

ونظر لي باشمئزاز وسألني :

- أين كتبك المدرسية ؟ هل هذه القصص هي ما تدرسه ؟

وكنت أحمل أربعة كتب : "لا شيء يهم" لإحسان عبد القدوس وكتاب "أخلاق المسلم" للغزالي وكتاب "معالم على الطريق" لسيد قطب وديوان حبيبتي لنزار قباني .

ويبدو أن مدير المدرسة قد شاهد فقط ديوان نزار قباني لأنه صرخ في وجهي:

- حبيبتي!!!.. يا فاسد يا عديم الأخلاق يا زنديق يا عربيد!!!

وصرخ منادياً أحد العاملين بالمدرسة وقال :

- احرقوا هذه الكتب حالاً أمامه ..

وكنا حقاً في صباح شتائي وأنا أرتعش تحت القميص الأبيض ولكن حين اشتعلت النيران في كتبي شعرت بوهج الحريق يتخلل قلبي ويحرق حشاشة روحي.

وتسرب العرق على جبيني ..

وأنا أشاهد احتفالية حرق نزار قباني وإحسان عبد القدوس وسيد قطب ومحمد الغزالي.وكأني كنت

أقدم لهم اعتذاري فقد سألني المدير عن ولي أمري وطردني من المدرسة .

وحين اقتربت من باب المدرسة سمعته يصرخ :

- عد من حيث أتيت يا فاسد ...

وتسلقت سور المدرسة وقفزت في الشارع وسط عيون بعض المدرسين والعاملين والطلبة.

وبهدوء توجهت إلى أقرب مكتبة لأشتري الكتب التي احترقت بأيدي العمال

وعلى مرأى من مدير المدرسة .

مع حزني الكبير ..

وحسرتي ..

ودموعي التي لم تنجرف أبداً أمامهم .

***

ألــم

اقترب منها في حنان .. وقبل يديها ..

نظرت إليه بدهشة ..

وراح بأصابعه .. يمسح على شعرها الأبيض ..
الذي ينبيء عن عمر تجاوز السبعين .

وسألته مبتسمة : من أنت ؟

أغمض عينيه في يأس وهمس لها :

– أنا الذي يحبك .. وأخطأتُ في حقك .. وأعيش
من أجلك .. فسامحيني.

وقدم لها بعض الحلوى التي أحضرها وقال :

–ياليتك تأكلين لتستردي صحتك وذاكرتك ياليت ..

وبدأ يقدم لها بعض الفاكهة وهي تأكل من يديه

ثم تسأله مبتسمة : من أنت ؟؟؟

ويظل يقبل يديها ولا يستطيع أن يقول شيئاً

فمازال يذكر تلك الليلة التي خرجت من البيت ولم يعلم عنها شيئاً.

حتى أخبره الناس أنها في المستشفى للعلاج حيث فقدت ذاكرتها بعد أن صدمتها سيارة في الطريق.

مازال يشعر بالحسرة تنهش في روحه وأنياب الندم تمزق قلبه.وأفاق من تأملاته على صوت الطبيب :

- لا تزعج أمك أكثر من ذلك فهي تحتاج للراحة وغداً ربما استردت ذاكرتها وعرفت من أنت ؟

وأجهش في البكاء .. وودعها بدموعه وهي تبتسم وتسأله :

-من أنت ؟ ولم تبكي ؟

ويردد :سامحيني ياأمي

***

حب عميق

شعر بالضيق وكآبة النفس ونظر إليه وقال :

- لا تخف إنهم بخير .

وعاد يتابع أعماله على جهاز الحاسوب ورجع إليه يستفهم منه :

- هل قالوا إنهم في الطريق ؟؟

واحتد غاضباً وصاح :

-أرجوك ياأبي دعني أعمل إنهم قادمون الآن.

والأب في حالة من القلق والتوتر على أحفاده ذهبوا في رحلة ويشعر أنهم تأخروا عن موعد العودة.وعاد إلى ولده وسأله :

-اتصل بهم بالهاتف النقال لعلهم قادمون الآن.

وشعر بالضيق وانفجر في والده :

-إنهم أبنائي أرجوك لا تتدخل أنا أدرى منك بأحوالهم.

وصُدِم الجد الحنون من كلمات ولده وانزوى في مقعده حزيناً. وأطبق الصمت الموحش على فضاء المكان.

ومن بعيد ترامت إليه أصوات أحفاده وانفتح الباب ركضوا جميعاً نحوه وهو في مقعده والتفوا حوله يعانقونه ويطبعون القبلات البريئة على وجهه

- آسفين يا جدو تأخرنا
- وحشتنا يا جدو
- بنحبك يا جدو

ثم التفتوا إلى أباهم وقالوا :

- ياه .... أمازلت أمام الحاسوب ؟؟؟

***

قلبُها

وأقسمت .. وكررت :

- لن أعرفه مرة أخرى ..!!

وكلما تحدثوا عنه .. أمامها أدارت وجهها وتظاهرت أنها لا تسمع .. وكثير من أهل الخير وفدوا إليها :

- انه يحبك .. لا يستطيع العيش بدونك .

وأكدت في ثقة :

- هو المذنب في حقي وعليه أن يتحمل نتائج أخطائه.

وفي يوم بينما كانت في مجلسها تقرأ القرآن دعاها الهاتف .. وبدأ الخوف يتوغل في

ملامحها .. والهلع يسري في أعصابها.. وقلبها ينبض بصعوبة.

وفرت مسرعه خارج المنزل إليه .وحين أبصرها أمامه لم يقو على الحراك لفرط مرضه..

فدنت منه تمسح على شعره وعيناها تخفيان بعضاً من دمعات تنساب في حنان .

وارتمي على صدرها..وعانقته بالقبلات ..

وردد ودموعه تغرق وجنتيه :

سامحيني يا أمي !!!

***

المكان الأخير

خطر لي أن أزور هذا المكان رغم أنه يبعث شيئاً من القنوط في نفسي .. واليأس في روحي الا أني ذهبت هناك والحزن يرافقني .

وتعجبت وأنا أرى حياة أُخرى تتجدد .. نساء في عشش صغيرة مع أطفالهن .. يضحكن وأطفالا تركض .. بين المقابر وتلهو في براءة .

واقترب مني مرحباً .. ودعاني لكوب شاي.. مضيت بحذر.. وتناولت الشاي في خوف واستأذن ليؤدي فريضة الله . فقام وسحب سجادة الصلاة فظهرت أمامي معالم المقبرة داخل غرفته الصغيرة ..ارتعبت .. وحين أنهى صلاته قال ضاحكاً :

– لا أرتاح إلا هنا .. كيف أنتم تنامون في تلك المدينة القاتلة ؟؟

الصحراء

فجأة تعطلت سيارتي في منطقة نائية عن المدينة وانتابني شيء من الحزن..وظللت واقفاً على الطريق أشير للسيارات العابرة .وكانت الشمس تلملم أثوابها وترحل مع الغروب.فقررت أن أفترش الصحراء وأنتظر القادمين.

وحين خطوت فوق الرمال ...هبت الريح ..وذعرت الصحراء..وثارت الرمال والشجر العاري يطأطي الرأس شهيداً في معركة الرمال مع الريح.

وتواريت خلف شجرة ضخمة الوذ هارباً من غضب الصحراء وكأني سمعت صوتاً غريباً يقول :

-غريب يدنس الصحراء ..

فرجعت إلى سيارتي مرتجفاً ولذت بالضوضاء والغبار وأصوات المارة وحين ألقيت نظرة أخيره على الصحراء كان النسيم يداعب الرمال والغروب يفرش ظلاله والأشجار شامخة في كبرياء.

***

الكاذبة

قالت لهم :

-لا .. لن أكذب .. سأقول الصدق مهما كان الأمر.

وانهالت من صديقاتها كلمات التحذير :

-لا تقولي الحقيقة الكذب أفضل.

وفي البيت والأسرة حول مائدة الطعام ترددت أن تخبرهم بالحقيقة وتملكها الخوف .. حين صاح أخيها الصغير فجأة :

-انظري لقد كافأتني معلمتي بهذه الهدية الجميلة

قالوا جميعاً في صوت واحد :

-لماذا ؟

قال أخوها في براءة :

-لأني صادق وأمين لا أكذب أبداً .

وتوقفت عن تناول طعامها وشعرت بالخجل.وكأن
سياطاً تلهب قلبها .. وتصرخ نادمة من أعماقها .

***

الهارب

رأيته مراراً ينجو بأفعاله المشينة

ولا أحد يدري عنه

وفي فخر وإعجاب بذاته يقص علينا فصولا من خداعه وخيانته للآخرين .

وتعجبت كيف استطاع أن يصادق المنكر ويصاحب الخطيئة وينطلق مع هوى النفس يفاخر بنزواته وأخطائه ولا يبالي بالآخرين .

وحين سألته ضحك كثيراً وقال:

- لا أحد يكشفه ولا قادر على ذلك .

فقلت له :

- الله يرانا جميعاً ويكشف خطاياك.

وتبدلت ملامح وجهه .. وغابت عيناه في أحداقهما ومضى بعيداً حتى غاب في الزحام

***

النظرة الأخيرة

في فراشه شاهدته يتألم ..

وترتعش أصابعه .. والمرض الخبيث قد تسلل إلى كل عظامه..

فلا يغفو لحظة .. ولا يعرف النوم أبدا.

دائماً تحملق عيناه فى فضاء الغرفة .. والدموع هاربة خلف أجفانه .هكذا انتهى به الحال عاجزاً عن الحياة .

وجاء صوت ابنه الشاب يقول :

سأذهب لبيتي الآن .. أولادى بانتظاري .

ونظر إليه الأب المريض وقال في توسل بصوته الضعيف:

- أرجوك لا تغلق هاتفك قد أحتاج إليك في منتصف الليل لتخفف عني وحدتي وعجزي

ضحك الشاب ساخراً :

- ماذا تريد مني ؟؟ ألا يكفيك أني جئت ؟

وكاد الأب يبكي .. وهو يقول :

- أُريدك معي تؤنس وحدتي ..سأموت وحدي

ومضى الشاب صارخاً :

- لا تنتظر أن أترك بيتي وأجلس بجوارك .. هاتفي سيكون مغلقا كل ليلة .أُريد أن أنام

ومضى الشاب سريعاً

ونظرات الأب المريض بين الحسرة والألم تتابع ظله الأخير مسفوحاً خارج الباب ..

***

الحادث

ربما كان يحمل حقيبة أموال لجهة ما.. لا أدري ولكن شاهدت السيارة تتأرجح على الطريق ثم تلتوي كالثعبان وتنقلب أكثر من مرة.

وتواجه البناء الأسمنتي أمامها ويتطاير الزجاج شظاياً وتتكسر الأبواب وسط عاصفة من الغبار والدخان.

وفي الفضاء كانت الأوراق المالية تتساقط فوق رؤوس المارة والسائق يئن من جراحه ويصرخ بألم للنجدة .

وحول سيارته المنقلبة انشغل الجمع الغفير في التقاط الأوراق المالية المبعثرة والهرب بها في الحال رغم أنها مخضبة بدم المصاب .

***

روح وحيدة

يجلس وحيداً..

تنهش روحه ذكريات.

هذا البيت كان يفيض بأنهار الحب والحنان وتلك ضحكة الأطفال

- ""ووجه امرأة أحببتها ووهبت العمر لضوء يشرق في عينيها ""

فكيف غاب النهار.. وارتدت الألوان الزاهية ثوب الأحزان ؟

سألته متعجباً :

- أين ذهب الجميع ؟؟

نظر بعينين ينتحر فيهما الكلام وقال بحزن :

- رحلوا .. أو هربوا لا فرق غير أني أتمنى لهم أرغد حياة.

والتفتُ إلى صورة قديمة في إطارها المذهب يقف بين أسرته والبسمات زاهية على الوجوه وقال بصوت أقرب إلى البكاء:

-انظر .. أين هم الآن ؟ وأين أنا ؟

ومددت أناملي وتلمست الوجوه ..فإذا بعينيه في الصورة تنسكب منها الدموع ..

وترتعش الأوجاع

وتحتشد الجراح

وتنزف دماء القلب الحزين!!

***

غربة

وحيداً .. يحدث الجدران ..

والمقاعد ..

وفضاء الغرفة السابح في الصمت .. والأحزان.

كتب كلمات على الأوراق ..

لم تتحمل الحروف عذابه..

فتمزقت وتناثرت في الهواء ...

همس إلي بعض الـــورود .. حزنـــت .. تألمـــت أغصانها .. وسقطت في الذبول والخريف ...

رسم على جدران غرفته بعضا من آلامه ..

انتحبت الأشياء ..

وتشققت الجدران ..

وتصدعت وتهاوت على الأرض ..

فتح النافذة ...

ضربته الريح ..

وصرخت الرعود فتراجع مذعوراً ..

شعر أنه يذوب في عالم من ظلام..

فأشعل عود ثقاب ليرى العالم ..

احترقت أصابعه..

ولمست النيران بعضا من ثيابه ..

واشتعل المكان.

***

الزائـرة

كانت دائماً في خدمتنا ..

تحمل أعباء البيت ..

تتسوق أغراضنا .. تطهي الطعام ..

تعد المائدة تقوم بكل ما نطلب .. وتبتسم ..

حتى الأطفال إذا صرخوا خرجت بهم للحديقة.

أحببناها .. جميعاً .. وارتبطنا بها.

فإذا فُقد كتاب سألناها .. وإذا نسينا أمراً تذكرته .

وإذا تشاجرنا كانت حمامة السلام.

وإذا غفوت على مقعدي .. حملتني إلى الفراش ..

وإذا عاقبتني أمي بالحرمان من مصروفي اليومي

دست في يدي بعض النقود خلسة.

وآخر الليل تفترش الأرض في انتظارمـــا نطلبـــه
ونحن ندرس حتى الصباح ..

أحببتها منذ طفولتي المبكرة ..

وكانت تعانقني دائماً وتمنحنـــي قطـــع الحلـــوى
وتخصني بأشهى الفاكهة .

وفي يوم سألتُ أمي عنها قالت :

– مسكينة جاءت من قريتها تبحث عن عمل
وظلت معنا .

وحين مرت السنوات عدتُ يوماً إلى بيـــت أمـــي
فكان الحزن يسدل ستائره السوداء..

وشاهدتُها نائمة... شاحبة الوجه... هزيلة الجســد
غير أن بسمتها ظلت مضيئة ..

وقالت وهي تقاوم الألم:

- منذ زمان لم أرك .. تذكر قطع الحلوى وأكواب الشاي أنت .. وأصحابك .. أثناء الدراسة .

وعرفت أن المرض اللعين افترس صحتها وأنها تنتظر اللحظات الأخيرة .

وقلت لها :

- لا تخافي إن الله رحيم بعباده .

وترنحت بسمتها فوق شفتيها ..

وتهادى الضوء على قسمات وجهها ...

وانفجرت الغرفة بالبكاء والعويل ..

***

الوهم الجميل

كانت حزينة ..

بين غلاء فاحش اغتال الحلم الأخير

وحياة سكنت فيها الحسرات و الكآبة.

توشحت برداء الصمت ..

ثم تنفست الكلمات علـــى شـــفتيها ورودا ذابلـــة وقالت:

- وفقدت أيضاً حبي الأخير .. واندثر قلبي وتناثر أوراق خريف على وجه الريح .. حتى لحظـــات الحب تلاشت .. واضحت حيـــاتي صـــوراً مـــن سراب. عانقت الأوهام حياتي تزوجت من أُحـــب وأنجبت أطفالاً صاروا شبانا .

ولكن كل ذلك أوهام .

فمازلت ضائعة لا أشعر بذاتي ..

حياتي مشاعري عالمى الأنثوي..

حتى الكلمات صارت دون معنى.

سألتها : لكن أراكِ .. وحولك أسرة باسمة وزوج رقيق حالم.

ابتسمت في حزن وقالت :

- هذا هو الوهم الجميل!!!

وبينما كنت اتجه إلى الباب كان بكاؤها

قد بدد السكون وانفجر في كل مكان .

***

فنــاء

قال في شجن :

– كل شيء فان سوى العمل الصالح

– وارتعد قلبي ..

ووهبت روحي نهراً في صحراء المساكين

وزرعت حبي أشجاراً تطرح ثماراً

حول الجوعي والحيارى والبؤساء

وبكيت كثيراً عل نهر دموعي يطفيء جمرات آثامي

وحلقت في رحلة الغفران ....

في رحاب النور والفضاء..

وانتظرت قضائي

***

أحزان

صرخ من بشاعة الألم

واستسلم للإغفاء ..

بكت الجدران ترنحت وجوه الأبــواب وعلاهــا السأم

والضجر .. لبست المقاعد ثوب الأحزان ..

وخجل الصمت ..وتوارى خلف الظلال

وتمدد الظلام وفاض وانساب

وظلت صورته باسمة تشع في المكـــان بلمســـات الحب والحنان.

***

وحيـدة

لم تعد تحتمل ..انهارت أعصابها ..

احترقت أوراق أشجارها .. وذابت مع بقايا الدخان .

سألتها :لماذا ؟؟

قالت في بكاء رقيق :

_ وهبتهم حياتي عشت عمري للعطاء ..
أموت من أجلهم .. أتعذب ..أعاني أُهاجر فوق جراحي ولا من أحد يشعر بي.

وتمزقت مع دموعها ...

وأشارت إحداهن لي خارج غرفتها بالمستشفى وقالت :

- مسكينة لا زوج .. لا أبناء .. لا أحد منهم يزورها ..

وشاهدتها تدفن وجهها في وسادتها

والدموع تبلل الفراش الأبيض .

***

المتمردة

جلست تكتب اليه

تأتيني نسمة من صحراء بلادى..

تفترش معي ظلال الشجر..

والطيور في السماء ترحل

يدعوني البحر الي عينيك يا حبيبي..

يدعوني الصمت إلي حوار العشاق

كلما بدأناه تمزقت أوتاره فمن انت؟؟؟

**

في اجتماع مجلس جمعية حقوق المرأة

صرخت في وجوهن:

لابد من التمرد ضد سلطة الرجل.

كل علاقة تهدف الي حصار حرية المرأة نرفضها.

النساء صفقن....

وتجمع مندبو وكالات الأنباء

والصحافة وصرخت مرة اخري:

- سيكون لنا صوت تحت قبة البرلمان تمردوا

**

جلست تكتب اليه:

أنتظرك حبيبي..

أنت وحدك في هذا العالم

أمد شطوطي اليك

حدائق عمري تهفو الي رائحتك

حمائم أشجاري ينتظر شروقك اليومي

كلما بدأنا حوارا سلبتنا الأيام بهجته.لماذا؟

**

في المسرح الكبير

وتحت قبة البرلمان هتفت:

الحب ليس عودة الي عصور الظلمة والخضوع

الحب دعوة لتجميل الحياة

والرجل الذي يفهم المرأة أنها وليمة نرفض وجوده

وفي آخر النهار

جلست تكتب إليه:

مازلت في انتظارك

إن كنت صقراً فانا طيرك المذبوح

وان كنت بحرا فأنا لؤلؤة في أمواجك

وإن كنت رجل الكهوف

فخذني اليك

أنا الوليمة!!!!!

***

عصر الانترنت

كان الأب يقرأ في كتاب الله والأم تجلس

ترتب بعض الثياب وتشكو غلاء الأسعار..

وفجأة يمرق صوتا صارخ:

-أبي أمي .. أنصتا لي سوف يأتي الأسبوع القادم
من أمريكا

وفي دهشة بالغة توجهت إليها الأنظار تتساءل:

– من هو؟

قالت الابنة الجامعية:

- صديقي من أمريكا الذي تعرفت عليه على النت

وشهق الأب والأم معاً ..

وكادا أن يغشيا عليهما

واستمرت الفتاة في جرأة:

– عادي .. الأمر عادي لن يمكث سوى شهر واحد معنا .. فأرجو أن نحسن استقباله ليعرف أن العرب كرماء

وعاد الأب يقرأ في القرآن:

"والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصو بالحق وتواصو بالصبر""

والأم تصيح:

– لا إله إلا الله القيامة قامت

***

مؤلفات / على عبد الفتاح

في مجال الأدب والثقافة والنقد :

١- الصعاليك ينفجرون بالغناء (دراسة حول ٤٠ شخصية في الشعر من مختلف البلاد العربية)

٢- الغربة والإبداع (شهادات المبدعين في الغربة)

٣- العصفور والسنبلة (دراسة نقدية)

٤- عشاق الحزن الجميل (دراسات نفسية حول إبداع مجموعة من الشعراء العرب والأجانب

٥- سيد قطب (سيرة ذاتية حول أحد أعلام الفكر الإسلامي)

٦- الشاعر الكويتي احمد مشاري العدواني (دراسات أدبية حول الشاعر)

٧- العدواني وثائق وصور (كتاب وثائقي بالتعاون مع الدكتورة دلال الزين زوجة الشاعر الراحل)

٨- أعلام الشعر في الكويت (أول كتاب يصدر لسير وتراجم شعراء الكويت)

٩- أعلام في الأدب العالمي (دراسات حول ١٢٠ شخصية في الأدب العالمي)

١٠- للحب والجمال والحرية (دراسات نقدية لمواقف المبدعيين حول الجمال والحب والحرية)

١١- الصوت الهامس (كتابات نثرية)

١٢- شخصيات أدبية (حوالي ٣٠٠ شخصية إبداعية من العالم العربي)

١٣- الغاضبون في الأدب (دراسات حول ٤٠ شخصية في الأدب العالمي والعربي)

١٤- حمامة بيضاء (قصص علمية وإنسانية للأطفال)

١٥- الشاعر الكويتي فاضل خلف حياته وأدبه (تحت الطبع)

١٦- مواقف من حياتهم (مواقف من حياة الأدباء والشعراء والفنانين)

١٧- شعراء من العصر الجاهلي (تحت الطبع)

١٨- شعراء من إسرائيل (تحت الطبع)(يعتبر اخطر كتاب يدخل المكتبة العربية يوضح مواقف البشاعة التي يصورها شعراء إسرائيل للعرب وأطفال العرب ومدى التعصب والكراهية والحقد ضد الأمة العربية)

١٩- ربع قرن من الزمان في عيون أطفال الكويت (سيرة تربوية للمؤلف عن نظرته وانطباعاته في الكويت

وعلاقته بالشعراء والأدباء والتلاميذ الذين كان يدرس لهم في وزارة التربية بالكويت) .

٢٠- الغاضبون في الأدب .الطبعة الثانية.

٢١- عشاق الحزن الجميل . الطبعة الثانية .

٢٢- حبيبتي أنت . (كتابات وخواطر نثرية)

٢٣- دراسات في شعر الغزل . (مجموعة دراسات حول شعر الغزل)

٢٤- موسوعة علماء العرب المسلمين . (حوالي ٥٠٠ عالم مسلم)

٢٥- الفراشة والضوء. دراسة في أدب ليلي محمد صالح.

٢٦- حوار المشاعر الرقيقة (كتابات نثرية)

٢٧- دموع الياسمين (أقاصيص من الواقع)

٢٨- هؤلاء عاشوا في وجداني (دراسة نفسية عن علاقة

٢٩- المؤلف بأكثر من ١٠٠ شخصية مبدعة)

٣٠- أعلام الشعر في الكويت (الطبعة الثانية)

٣١- عاشقات خلدهن التاريخ (تحت الطبع)

٣٢- مشاهير الصحابة (تحت الطبع)

٣٣- نساء في حياة الرسول(تحت الطبع)

أهم الكتب الشهيرة :

-أعلام الشعر في الكويت

-الغاضبون في الأدب

-شخصيات أدبية

-للجمال والحب والحرية

- موسوعة علماء العرب والمسلمين

- عشاق الحزن الجميل

- تأملات في أدب ليلى محمد صالح

-الصعاليك بنفجرون بالغناء

Email

lovingfreebirdyahoo.com

WWW.freebird١.piczo.com

المحتويات

رقم	القصة	الصفحة
	عالم البراءة	٥
١	في الصباح	٦
٢	الحقيبة	٨
٣	ظل الشجرة	١٠
٤	عصير الليمون	١١
٥	اللص الصغير	١٣
٦	عودة	١٥
٧	حلم	١٦
٨	صدق	١٧
٩	أنا والفقير	١٨
١٠	مشهد	١٩
١١	لحظة موت	٢١
١٢	الكارثة	٢٣
١٣	الداء	٢٥
١٤	عذاب	٢٦
١٥	صديقي المخلص	٢٨
١٦	يوم اعدامي	٣٠
١٧	أول حب	٣٣
١٨	عمو أمين	٣٥
١٩	أول درس	٤٠
٢٠	دموعي الاخيرة	٤٢

٢١	سندريلا	٤٥
٢٢	زعيم الفقراء	٤٩
٢٣	جلباب ابي	٥٢
٢٤	المريض	٥٤
٢٥	دموع أمي	٥٧
٢٦	أنا وأمي	٥٩
٢٧	من أجلها	٦٠
	عالم الرومانسية	٦١
٢٨	طعنة في القلب	٦٢
٢٩	حبيبتي الأولى	٦٥
٣٠	دموع الياسمين	٦٧
٣١	المجنون	٦٨
٣٢	القمر	٧١
٣٣	أحببته	٧٢
٣٤	البريئة	٧٣
٣٥	الصوت الحنون	٧٥
٣٦	الوجه الحزين	٧٧
٣٧	امرأة من سحاب	٧٨
٣٨	موسيقى الروح	٧٩
٣٩	حسرة	٨١
٤٠	عشق ملائكى	٨٢
٤١	دموع	٨٤
٤٢	أنا	٨٥
٤٣	القارئة	٨٧

٤٤	الشموع	٨٩
٤٥	وردة الاصيل	٩٠
٤٦	كل مساء	٩٢
٤٧	ذكريات	٩٣
	عالم الحياة	٩٤
٤٨	الدنيا	٩٥
٤٩	لقاء	٩٦
٥٠	غفران	٩٧
٥١	حكمة	٩٨
٥٢	الجريح	٩٩
٥٣	حول الكعبة	١٠١
٥٤	هاجس	١٠٢
٥٥	المرأة	١٠٣
٥٦	دمعة حب	١٠٤
٥٧	العقاب	١٠٥
٥٨	الحبيبة	١٠٧
٥٩	المثقف	١٠٩
٦٠	حريق الكتب	١١١
٦١	ألم	١١٤
٦٢	حب عميق	١١٦
٦٣	قلبها	١١٨
٦٤	المكان الاخير	١٢٠
٦٥	الصحراء	١٢١
٦٦	الكاذبة	١٢٣

٦٧	الهارب	١٢٤
٦٨	النظرة الأخيرة	١٢٥
٦٩	الحادث	١٢٧
٧٠	روح وحيدة	١٢٨
٧١	غربة	١٣٠
٧٢	الزائرة	١٣٢
٧٣	الوهم الجميل	١٣٥
٧٤	فناء	١٣٧
٧٥	أحزان	١٣٨
٧٦	وحيدة	١٣٩
٧٧	المتمردة	١٤١
٧٨	عصر الانترنت	١٤٤
	مؤلفات علي عبد الفتاح	١٤٦



لقـــاء

تأملها .. هذا الملاك الصغير .. ابتسامة خجل تضيء بين شفتيها.. تعثرت الحروف الجميلة .. في فمها الدقيق.. الصغير.

تناثر شعرها مع نسائم الصباح .. مد كفه في فرح غامر.. مدت أصابعها وخطت إليه بهدوء .. حملها بين ذراعيه..

وغابت بين شلالات من قبلاته .. وهمس لها في ابتسامة كبيرة:

- من أنا ؟

ابتسمت في دعة .. ونظرت إليه تمسح على رأسـ... بصوت خافت:

- جدو

وانسكبت موجات من نور الحياة

تحمل روحه إلى عالم جديد.

الناشر
مكتبة ابن كثير